***الأستاذة: بن سويكي**

***مادّة: قضايا نقديّة**

***المستوى: الثّانية ماستر أدب حديث ومعاصر.**

المحاضرة رقم:11/الانزياح.

***تمهيد:**

يعدّ الانزياح من الظّواهر الشّائعة في الدّراسات الأسلوبيّة الحديثة، وقد حظي باهتمام الباحثين والدّارسين ولا يزال حيث أثير حوله جدل كبير ملأ صداه فضاء النّقد العربيّ والغربيّ على حدّ سواء. ف "جون كوهن" مثلا يتصوّر أنّ الانزياح هو (ما ليس شائعا ولا عاديا ولا مصوغا في قوالب مستهلكة...). ومع ذلك فالانزياح مفهوم تجاذبته وتعلّقت بدائرته مصطلحات كثيرة، فتعدّدت مسمّياته وتباينت، وهو حسب المسدّي (متصوّر نسبيّ؛ تذبذب الفكر اللّساني في تحديده وبلورة مصطلحه، فكلّ يسمّيه من ركن منظور خاص).

***1/تعدّد المصطلح:**

يثير مصطلح الانزياح"L'ecart" إشكاليّة كبرى في الدّراسات الأسلوبيّة الحديثة، كما تستقطب أسلوبيّة الانزياح كمّا وافرا من الكتابات الأسلوبية المعاصرة، ويقابل هذا المفهوم –باعتباره مصطلحا فرنسيا أساسيّا– مجموعة من المصطلحات العربيّة مثل: الانحراف، المتنافرة، الغرابة...وغيرها. وقد نقل المصطلح إلى العربيّة بما لا يقّل عن أربعين مصطلحا.

أمّا في الدّرس البلاغيّ العربيّ فقد عرف نقادنا القدامى هذه الظّاهرة الأسلوبيّة من خلال عدّة أسماء واصطلاحات ك: العدول والانحراف والتّجاوز والالتفات وخرق السّند...، ومن الملحوظات المبكّرة في تراثنا العربيّ حول هذا المفهوم ما ذهب إليه "الجاحظ" في " البيان والتّبيين" حيث أشار إلى مستويين في اللّغة: –المستوى العاديّ في الاستعمال و–المستوى الفنيّ في الاستعمال الخاص، ويقترن المستوى الأوّل

بطبقة العامّة، وغرضه إفهام الحاجة، أمّا المستوى الثّاني فغرضه البيان البليغ، ويتميّز هذا المستوى بمبدأ اختيار اللّفظ وينفرد بالجودة في التماس الألفاظ وتخيّرها.

وقد فطن "ابن جنّي" إلى المعاني الّتي يحقّقها الانزياح بقوله: "وإنّما يقع المجاز ويعدل إليه عن الحقيقة لمعان ثلاثة، وهي الاتّساع والتّوكيد والتّشبيه، فإن عدم تلك الأوصاف كانت الحقيقة البتّة...".

وكما تداخلت المفاهيم حول مصطلح (الانزياح) وتنوّعت في فكر النّاقد العربيّ قديما، شهد النّقد الحديث تداخلا على الجانبين الغربيّ والعربيّ، حيث تتقاطع اللّغتان الإنجليزيّة والفرنسيّة في استعمال مصطلح (Ecart)، بينما تتفرّد الفرنسيّة باستعمال (Deviation)؛ وربّما كان "جون كوهن" أوّل من خصّ هذا المصطلح بحديث مستفيض حين تحدّث عن لغة الشّعر بقوله: "أنّ الشّعر انزياح عن معيار هو قانون اللّغة، فكلّ صورة تخرق قاعدة من قواعد اللّغة أو مبدأ من مبادئها هو انزياح".

أمّا "ميشال ريفاتير" فقد حصر مفهوم الانزياح من خلال تحديده للظّاهرة الأسلوبيّة حيث عرّفه بقوله: "يدقّق مفهوم الانزياح بأنّه يكون خرقا للقواعد حينا، ولجوءا إلى ما ندر من الصّيغ حينا آخر".

ووسّع "فاليري" دائرة الانزياح لتشمل الأسلوب، فقد عرّف الأسلوب "بأنّه انحراف عن قاعدة ما"، ويضيف "يوسف وغليسي" –في مقال له بعنوان: (مصطلح الانزياح بين ثبات اللّغة المعياريّة ومتغيّرات الكلام الأسلوبيّ العربيّ) –إلى جهد المسّدي مصطلحات أخرى لم يذكرها، وهي تصبّ في الحقل الدّلالي نفسه، ومنه(التّشويه المتناسق) الّذي يقترحه "ميرلوبونتي" ومصطلح المروق والضّلال والاضطراب والّذي أورده "غريماص" في معجمه، ومصطلح (المجاز) الّذي حثّ عليه "تودوروف" و"ديكرو" في معجمهما الموسوعي.

2/انتقال تعدد المصطلح من السّاحة الغربيّة إلى العربيّة:

تعدّد هذه المسمّيات الاصطلاحيّة الغربيّة انعكس بدوره على السّاحة العربيّة، وإن كان "عبد السّلام المسدّي" –حسب علمنا–أوّل من نقل المصطلح بمرجعيّته الغربيّة إلى اللّغة العربيّة، فقد صرّح بكونه "مصطلح عسير التّرجمة لأنّه غير مستقرّ في متصوّره...على أنّ المفهوم ذاته قد يمكن أن نصطلح عليه بعبارة (التّجاوز) أو نحيي لفظة عربيّة استعملها البلاغيون في سياق محدّد وهي عبارة (العدول)".

وقد قدّم الباحث العربيّ "أحمد محمّد ويس" دراسة قيّمة موسومة ب: "الانزياح وتعدّد المصطلح" حيث أشار إلى أنّ الانزياح هو أحسن ترجمة للمصطلح الفرنسيّ(Ecart)، ويشيع هذا المصطلح عند طائفة من الدّارسين المغاربة المعاصرين، منهم: عبد الملك مرتاض، عدنان بن ذريل، حميد لحمداني، محمّد عزّام حسين خمري...وغيرهم.

تثير "يمنى العيد" هذه القضيّة في كتابها (القول الشّعري) فتعرّف (الانزياح) بأنّه: "البعد عن مطابقة القول للموجودات". وأمّا "نعيم اليافي" فيعرّفه بقوله: "خروج التّعبير عن السّائد أو المتعارف عليه قياسا في الاستعمال، رؤية ولغة وصياغة وتركيبا". ووصفه "عبد الله الغذّامي" في كتابه "الخطيئة والتّكفير" بأنّه: "يصرف نظر المتلقّي بعيدا عن الدّلالات المرجعيّة للكلمات"

***الخاتمة:**

مهما تنوّعت التّعريفات إلاّ أنّها تتّفق في كون الانزياح ظاهرة أسلوبيّة مهمّة في النّقد الحديث، وهي ليست ظاهرة عشوائيّة بل مقصودة في الخطاب الأدبيّ تبتعد به عن النمطيّة، وتخرجه من المألوف أو الدّلالات المعجميّة، لتحقّق هدف الإثارة والدّهشة والمفاجأة، وهي وسيلة للإيحاء وليست أداة تقدّم معان محدّدة، فالانزياح انحراف الكلام غن نسقه المألوف وحدث لغويّ يتبيّن في تركيب الكلام وصياغته على أنّه نظام خارج المألوف خاضع لمبدأ الاختيار؛ فاختيار الألفاظ وتركيبها في سياق أدبيّ تجعل للدّال عدّة دلالات، من هنا يخترق القانون ويصبح للدّلالة الأولى إمكانيّة تعدّد المدلولات، فتصبح به اللّغة ليست مجرّد وسيلة للتّواصل، وإنّما غاية في ذاتها لتحقّق الشّعرية والجماليّة.

ونجمل القول: فنقول: الانزياح هو استعمال المبدع للغّة(مفردات/صور/تراكيب) استعمالا يخرج بها عمّا هو معتاد ومألوف، حيث يؤدّي المبدع من خلالها ما ينبغي أن يتّصف به من تفرّد وإبداع وقوّة جذب وأسر، أو هو مجموعة من المبادئ والقيّم الجماليّة الّتي يسعى بها المبدع في خطابه الأدبيّ عامّة والشّعري خاصّة لإكساب هذا الخطاب التميّز والبعد عن الألفاظ المعياريّة في النّصوص الأدبيّة(شعرا أم نثرا.

***مراجع ومصادر المحاضرة:**

-عبد السّلام المسدّي: الأسلوب والأسلوبيّة-محمّد ويس: الانزياح من خلال الدّراسات الأسلوبية-صلاح فضل: علم الأسلوب ومبادئه وإجراءاته.